

لدى قيادة عبدالناصر ، وبدأت تتطور قناعة بأن هدف التحرير بمعنى إزالة إسرائيل ليس ممكناً ، وبدأت تترسب قناعة مفادها ان شن الحرب لتدمير إسرائيل وازالتها أمر لم يعد متوفراً أو ممكناً في مقدور القيادات العربية القائمة آنذاك . لذلك بحثوا عن وسيلة جديدة لتحريك القضية الفلسطينية . بحثوا عن طريق جديد لابقاء هذه القضية متحركة ، ولكن بنود جديدة ، ففكروا بما سمي آنذاك باحياء الكيان الفلسطيني الذي اتخذ اول قرار بشأنه في شتوره سنة ١٩٦٠ على ما أذكر . وكان الاردن ، حتى الاردن ، من جملة الدول التي وافقت على احياء هذا الكيان . أخذت فكرة احياء الكيان الفلسطيني تتبلور كبديل عن الالتزام القومي بفكرة التحرير التي كانت تعني التدمير الكامل للوجود الصهيوني . وهذه الفكرة تجسدت عمليا سنة ١٩٦٤ بانشاء منظمة التحرير لكي تكون كيانا سياسيا فلسطينيا يشكل وجودا اجتماعيا وبشريا متناقضا مع الوجود الاسرائيلي . واعتقد ان سقف المطامح العربية آنذاك ، عندما خلقت هذا الوجود ، كان يرمي الى الوصول الى قرار تنفيذ قرارات الامم المتحدة بشأن فلسطين التي تنشئ دولة عربية ودولة اسرائيلية في حدود واضحة ومحددة وبالتفصيل .

جاءت حرب حزيران والهزيمة التي أسفرت عنها لتخدم الاتجاهات التي كانت بدأت قبل ذلك ، لتبني شعار حرب التحرير الشعبية ، شعار الكفاح الشعبي المسلح كبديل عن عجز الجيوش النظامية عن المواجهة . حرب حزيران خدمت هذه الاتجاهات وبالتالي أعدت لاعطاء منظمة التحرير مضمونا كفاحيا بعد أن كانت معدة لكي تكون أداة للتحرك السياسي فقط . منذ السنوات التي تلت حرب حزيران نجحت منظمة التحرير في أن تكون رمزا معبرا عن استمرارية الشعب الفلسطيني واستمرارية نضاله ، في ظل نشوء الالتزام الاكثر وضوحا من جانب الدول العربية بتحرير الاراضي التي احتلت عام ٦٧ ، وتخفيفها عن الالتزام المعلن على الاقل ، بتحرير فلسطين بكاملها ، الذي اعتبر مسؤولية طويلة لمقاة على عاتق حركة التحرير الفلسطيني ذاتها .

استطاعت منظمة التحرير الفلسطينية ، بمضمونها الكفاحي ، ان تستمر كرمز معبر عن استمرارية القضية الفلسطينية ووجود الشعب الفلسطيني في حالة نضالية ، استطاعت ان تستمر في ظل استمرار حالة الحرب بين العرب واسرائيل . عندما تنتهي هذه الحالة سوف تصبح منظمة التحرير صيغة غير قابلة ، بمضمونها الحالي ، على الاستمرار وعلى البقاء . من هنا مسؤولية البحث عن صيغة جديدة تتحايل على الحالة الجديدة التي من المتوقع ان تنشأ عندما تنتهي حالة الحرب بين العرب واسرائيل بصورة رسمية ، صيغة جديدة للمحافظة على استمرارية القضية الفلسطينية واستمرار النضال الفلسطيني ولمنع تبعثر الشعب الفلسطيني ، ووقوعه مجددا في براثن اليأس والشعور بالعجز وبالوصول الى نهاية المطاف ، وحتى نتجنب الوقوع مرة أخرى في صيغة حكومة عموم فلسطين أو الهيئة العربية العليا التي أصبحت ، منذ السنوات الاولى لانتهاة حرب ٤٨ ، أسماء بلا مسميات وأجساما هيكلية ليس فيها أي حياة . هذا الشعور وهذه التقديرات تدفعني الى الدعوة الى ضرورة تبني برنامج واضح ، يفرض علينا أن نتنزع التزاما عربيا به ، يطالب هذه الدول بأن لا تنتهي حالة الحرب ، وبأن لا تدفع هذا الثمن الا في حد أدنى من المكاسب التي تمكن الشعب الفلسطيني من ان يحتفظ بوجوده متماسكا ، وبهويته النضالية ويقدرته على حماية قضيته واستمراريتها ومتابعة نضاله .

اذن ، ربما يكون الهدف الاساسي المطلوب أو التكتيكي في هذه المرحلة هو ان نحول دون انزلاق الدول العربية الى انتهاء حالة الحرب في مقابل ثمن بخس ، لا يسمح للشعب الفلسطيني بتحقيق حد أدنى من المكاسب التي تمكنه من مواصلة نضاله او المحافظة على قضيته الوطنية .